مظاهر الديستوبيا بين روايتي 1984 لجورج أورويل و2084 حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج - دراسة تحليلية مقارنة - *

The Manifestations of Dystopia in the Novels “1984” by George Orwell and “2084: The Story of the Last Arab” by Wassini Al-Araj - A Comparative Analytical Study

شبال سميرة

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)،

chebel.samira@ensb.dz

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى نزع اللثام عن الديستوبيا في المنجز الروائي الجزائري من خلال رواية "2084 حكاية العربي الأخير" لواسيني الأعرج وعن تأثراتها بالديستوبيا الغربية ولا سيما رواية "1984 " للأديب الانجليزي جورج أورويل. وفي هذا السياق تبادرت إلى ذهني مجموعة من التساؤلات منها: لماذا لجأ واسيني الأعرج إلى كتابة رواية الديستوبيا؟ وكيف تتجسد الديستوبيا في "2084 حكاية العربي الأخير"؟ ثم ما علاقته بالديستوبيا الغربية ورواية "1984 " لجورج أورويل وما مدى تأثره بها؟ ولدراسة هذا الموضوع انتهجت المنهجين التحليلي الوصفي والمقارن، ومن النتائج المزمع التوصل إليها: تمكن واسيني الأعرج من استشراف المستقبل العربي المخيف انطلاقا من راهنها البائس وكذا اقترابه الكبير من جورج أورويل خاصة في بعض الأحداث والشخصيات.

الكلمات المفاتيح: الديستوبيا، الروائي الجزائري، واسيني الأعرج، جورج أورويل.

Abstract:

This paper delves into dystopian themes within Algerian literature, with a focus on "2084: The Last Arab's Tale" by Wassini Al-Araj and its correlation to Western dystopian works such as George Orwell's "1984". It poses inquiries regarding Araj's motivations, the depiction of dystopia in "2084", and its association with Orwell's seminal work. Employing analytical and comparative methodologies, it endeavors to unearth parallels between Araj's portrayal of a bleak Arab future and Orwell's dystopian universe. The anticipated findings may illuminate Araj's adeptness in crafting a disquieting narrative that resonates with Orwell's themes.

Keywords: Dystopia, Algerian novelist, Wassini Al-Araj, George Orwell.

*

تاريخ استلام البحث: 2024/11/29	تاريخ قبول البحث:21 /2025/03	تاريخ النشر:15 / 05/ 2025

1.مقدمة

ظهرت رواية الديستوبيا نتيجة الأوضاع التي عرفتها المجتمعات والثقافات عبر مختلف أرجاء العالم، فمذ بدأت المادة تطغى على الإنسان الذي بات همه الوحيد هو تحقيق مصلحته الذاتية، وأصبحت الدول العظمى تعمل على فرض نفوذها على البلدان الضعيفة والاستيلاء على أراضيها واستغلال خيراتها وتشريد شعوبها والقضاء عليها والوصول أحيانا إلى حد إبادتها مما جعل الإنسان يشعر بالخوف وعدم الأمان وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي خلفت دمارا كبيرا على المستويين المادي والمعنوي ووصلت إلى حد استعمال السلاح النووي في مدينتي هيروشيما وناغازاكي في اليابان مما خلق ذعرا شديدا في النفوس، لقد أصبحت المدن الكبرى مخربة ومحطمة يسود فيها الفقر والجوع ويكثر فيها اللصوص والمجرمين وهذا ما جعل الأدباء الغربيين على وجه الخصوص يتنبؤون بعالم مخيف وبشع حيث ستزداد مأساة الإنسان أكثر فأكثر وينقص السلم والأمان، وفي المقابل برزت ثلة من الروائيين العرب مع مطلع العقد الثاني من الألفية الثالثة وخاصة بعد ثورات الربيع العربي التي زادت الأوضاع سوءا إذ فسحت المجال أمام البعض من الطوائف والجماعات الإرهابية للدخول والتحكم في زمام الأمور مما أدخلها في حروب أهلية كانت عواقبها جد وخيمة عليها، وانطلاقا من هذا الواقع المزر بدأت الرواية العربية المعاصرة تستشرف بمستقبل الأمة العربية الذي سيكون أسوأ بكثير من راهنها ومن بين هؤلاء الأديب الجزائري واسيني الأعرج الذي خصص البعض من رواياته لموضوع المدينة الفاسدة أو الديستوبيا ومن بينها روايته " 2084 حكاية العربي الأخير " التي يُقال أنه استلهمها من رواية الأديب الانجليزي جورج أورويل "1984"، ولقد توالت الكتابات حول هذا الموضوع بشكل ملحوظ وهذا ما استوقفني وجعلني أتساءل عن سبب هذا الاتجاه الذي سلكه الروائيون العرب عامة والجزائريون خاصة وهل كان فعلا انعكاس للواقع العربي السيء أم هو مجرد محاكاة للروائيين الغربيين؟ وهل فعلا تأثر واسيني الأعرج بالبريطاني جورج أورويل أم لا؟

ولدراسة هذا الموضوع اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي إضافة إلى المنهج المقارن.

2. الديستوبيا المفهوم

الديستوبيا هي عكس اليوتوبيا التي تعني المدينة الفاضلة حيث يأمل الإنسان العيش في عالم مثالي تسوده الفضيلة والسلم والمحبة، فالديستوبيا إذن هي "المكان الخبيث الاجتماعي- السياسي المعاصر،"[1] وكثيرا ما ترتبط بأنظمة الحكم ديكتاتورية التي تعمل على تسيير مجتمعاتها من خلال غرس قيم وأفكار معينة لتجعل من أفرادها صورا متقاربة من بعضها البعض وهذا ما تطرق إليه هاربرت ماركيوز في مؤلفه "الإنسان ذو البعد الواحد،"[2] إضافة إلى ذلك تعمل الديستوبيا على تجريد الفرد من إنسانيته وعواطفه وأفكاره وهويته وتصنع منه مجرد شخص مستقبل ومستهلك.

وهناك من يذهب إلى أنها تمثل مجتمعا "غير فاضل تسوده الفوضى فهو عالم وهمي ليس للخير فيه مكان، يحكمه الشر المطلق ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض[...] يتحول فيه إلى مجموعة من المسوخ تناحر بعضها بعضا."[3]

هذا وقد اقترن مصطلح الديستوبيا بالمدينة الفاسدة أو المجتمع الفاسد أو المنحل على مختلف الأصعدة، وعلى العموم كانت مفاهيم الديستوبيا المختلفة تجزم حقيقة الضياع والاغتراب الذي يعيشه الإنسان المعاصر في واقع مخيف يملأ النفس بالرهبة.[4]

3. الديستوبيا والأدب

الأدب هو انعكاس للواقع المعيش والأديب هو ابن بيئته وهو الوحيد القادر على التغلغل إلى عمق القضايا ومختلف الظواهر الموجودة في راهنه ويكشف عن كنهها وسرها الدفين ويخرجه للعلن ليفهم الناس أكثر واقعهم ويتمكنوا إما الانسجام والتكيف معه أو العمل على تغييره.

هذا ولم تكن الديستوبيا وليدة " الظروف الراهنة بل هي مصاحبة لتفتق الوعي التام لدى المثقف والمفكر والمبدع مهما كان مجال إبداعه الفني ليعبر عن إحساسه بالخذلان التام مما يمكن أن ينجم عن تحول معاني الآدمية والإنسانية إلى تغول ووحشية مادية ومعنوية بل وغوغائية يستحيل فيها العالم غابة موحشة مقلوبة المفاهيم."[5]

وعادة ما يعرف الأدب الديستوبي بأدب المدينة الفاسدة وهو يقدم لنا مجتمعا خياليا مخيفا "تسوده الفوضى ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض،"[6] ويعطينا تصورا سوداويا إلى حد بعيد سيفقد البشر فيه الكثير من حريتهم ومشاعرهم ومواردهم،[7] مع الملاحظة أنه لا ينبغي المزج بين الأدب الديستوبي وأدب نهاية العالم رغم تقاربهما لأن الديستوبيا لا تصف نهاية العالم بل نهاية الإنسانية.[8]

ويتميز الأدب الديستوبي بكونه نوع من الأدب " الخيالي الذي عادة ما يصور مجتمعات مستقبلية سيئة ويتعمد تصوير مستقبل شديد القتامة بغرض تسليط الضوء على قضايا متباينة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية أو فلسفية،"[9] ولكنه يركز خاصة على القضايا السياسية وأنظمة الحكم الديكتاتورية الظالمة.

1.3 . الديستوبيا في الأدب الغربي

ورد ذكر مصطلح الديستوبيا في الثقافة الغربية في حوالي منتصف القرن الثامن عشر ولعل أول من وظفه هو الفيلسوف الانجليزي "جون ستيوارت ميل" في خطابه أمام البرلمان عام 868،[10] ولكنه لم ينتشر بشكل كبير إلا مع مطلع القرن العشرين وبالأخص بعد الحرب العالمية الأولى.

لقد بدأ الأدب الديستوبي يبرز في العالم الغربي بعد الثورة الصناعية التي تسببت في زيادة غنى الأغنياء ورجال الأعمال والمتحكمين في رؤوس الأموال وتدهور حال العمال البسطاء فازدادوا فقرا وبؤسا مما أفقد الغالبية العظمى إحساسهم بالأمان في مجتمع متغير وغير آمن مما أدى إلى انتشار النظرة التشاؤمية والسوداوية للواقع الذي بات مريرا ومخيفا ومن أهم الأعمال التي تعكس ذلك رواية "العقب الحديدية" للروائي الأمريكي جاك لندن عام 1908 ، ولعل ما أسهم أكثر في انتشار الأدب الديستوبي عند الغرب هو ما خلفته الحرب العالمية الأولى من خراب ودمار ومن أهم الأعمال المجسدة لذلك رواية "نحن" للروائي الروسي يفغيني زامياتين في عام 1921 وقصيدة الأرض الخراب أو الأرض اليباب للشاعر الانجليزي ت. س. إليوت الذي أهداه إياها لصديقه الشاعر عزرا باوند عام 1922 ومن خلالها تنبأ " بصورة العالم الذي تجلت ملامحه قاسية بعد الحرب العالمية الأولى منذرا بالخطر والخوف فبث في ثنايا قصيدته مفردات وصور شعرية متخمة بدلالات القرف والتقزز كما صور عالما بشريا مثقلا بالخيبات والمرارات"[11] ورواية " عالم جديد شجاع" لـ ألدوس هكسلي التي نشرت عام 1932 وتناول فكرة سيطرة العلم على الإنسان وسلبه لحريته وإنسانيته وقد ترجمها إلى العربية محمود محمود محمد مدير تحرير مجلة الكاتب المصري في عام 1946 ، إضافة إلى رواية "1984 " للمؤلف الإنجليزي جورج أورويل وذلك عام 1949 وترجمها إلى العربية أنور الشامي عام2006 والحارث محمد النبهان في 2014 ورواية "البرتقالة الآلية" لـ أنطوني برجس في عام 1962 وترجمتها إلى العربية دلال نصري وغيرها من الأعمال التي كانت تتنبأ بالمستقبل السوداوي والمخيف لبيئاتهم وللعالم.

ولعل ما أسهم في انتشار الأدب الديستوبي في الثقافة الغربية هو تواجدها في مجتمع رقمي وواقع خيالي كما تكفلت السينما " بتغذية هذا النوع وفتح شهية الكُتّاب لخوض غمار تجارب روائية تفتح المخيلة إلى أقصى مدى كما أنه يتخفف من مؤنة الواقع وثقله دون أن ينفصل عنه."[12]

2.3 . الديستوبيا في الأدب العربي

نحت الرواية الديستوبية العربية منحى الرواية الديستوبية الغربية في كونها تصور هموم الإنسان العربي بسبب الفوضى الاجتماعية والفساد السياسي والضعف الاقتصادي مما يساعد الأديب العربي على الاستشراف بأوضاع أكثر بؤسا وشقاء كما أسهمت أحداث ثورات الربيع العربي التي عاشتها العديد من البلدان العربية ابتداء من عام 2011 التي دقت نقوس "خطر دال على تحولات بنيوية فارقة في التركيبة السوسيوثقافية رصدت إجهاض حلم الإنسان العربي بعالم مأمول (اليوتوبيا) استحال شيئا فشيئا واقعا فاسدا (ديستوبيا) تجري أحداثه الدموية على الأرض هنا أو هناك،"[13] إضافة إلى التفكك الأسري بسبب انهيار المبادئ والأعمدة الأساسية التي كانت تبنى عليها الأسرة العربية وكذا التسرب المدرسي بسبب فشل المنظومة التربوية وانتشار البطالة مما دفع بالعديد من الشباب إلى الإدمان

الذي كان بدوره يتسبب في إقدام هؤلاء على السرقة والإجرام والانتحار أحيانا، لقد وفر هذا الواقع المضطرب والبائس مادة خصبة للمبدع العربي حتى يكتب الرواية الديستوبية على غرار أدباء الغرب ولكن تختلف الديستوبيا العربية عن الديستوبيا الغربية في كونها تعتمد على "تشغيل طاقة الفانتازيا بكثافة وتخييل سردي منفتح إلى أقصى مدى،"[14] كما كانت الرواية المصرية الجديدة على وجه الخصوص "منشغلة بهموم كتابها الطامحين إلى فهم طبيعة السوسيوثقافي أو الجيوسياسي اللاهث للمجتمع المصري المنحدر نحو مستقبل غامض ككابوس طويل الأمد."[15]

من أهم الروايات العربية في هذا المجال نذكر: الطابور لبسمة عبد العزيز في عام 2012 ونساء الكرنتينا لنائل الطوخي في عام 2013 وعطارد لمحمد ربيع في عام 2015 وفئران أمي حصة لسعود السعنوسي في عام 2015 وحرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله في عام 2016 وحارس سطح العالم لبثينة العيسي في عام 2019 وغيرها من الأعمال.

لم تكن الرواية الجزائرية الحديثة بمعزل عن الرواية العربية إذ هناك ثلة من الروائيين الذين نحوا هذا المنحى، وهذا بفعل الأوضاع الصعبة التي مرت بها الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي والإرهاب في التسعينات من القرن الماضي، ومن الروايات المجسدة لتلك الحقبة الزمنية رواية " وطن من زجاج " لياسمينة صالح التي نشرت عام 2006 إلا أن جل الأدباء حينذاك اكتفوا بالكشف عن بشاعة الواقع الجزائري دون الاتجاه للديستوبيا التي تأجل ظهورها الفعلي إلى مطلع العشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين.

4 . مظاهر الديستوبيا بين روايتي 1984 وحكاية العربي الأخير 2084

تتجلى ملامح الديستوبيا في الروايتين المدروستين في مستويات مختلفة هي:

1.4 . العناوين

لعل أول ما يلفت انتباهنا في عنواني الروايتين احتوائهما لتواريخ محددة ومستقبلية للحقب الزمنية التي يتواجدان فيها فرواية أورويل تحمل عنوان 1984 وكذا رواية واسيني الأعرج 2084 ولكنه أضاف إليه عبارة "حكاية العربي الأخير" حتى يوضح أكثر المقصود من ذلك التاريخ الدال على نهاية الأمة العربية وهناك من يذهب إلى أن أورويل أيضا وضع عنوان "الرجل الأخير في أوروبا"[16] قبل أن يختار العنوان الحالي (1984) حتى يزيد من عنصر التشويق ويجلب القارئ إلى معرفة ما هي دلالات هذا التاريخ.

2.4. فساد السلطة

السلطة هي "القوة وطرائق فرضها[...] وتظهر ممارسة السلطة للعيان كعلاقة بين قوتين وهي علاقة سجال وصراع وتدافع أو تأثير وتأثر"، [17]. ويرى غرامشي أنها "نظام يقوم على الإكراه والإقناع

ترتكز عليه الطبقة الحاكمة من أجل السيطرة والهيمنة لتعزيز حضورها والمحافظة على مصالحها الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية."[18]

كانت السلطة بالفعل في روايتي 1984 و 2084 حكاية العربي الأخير سلطة جائرة ومتسلطة وكانت تمسك بزمام الأمور بقبضة من حديد، لقد كان المجتمعان في كلتا الروايتين يعيشان في أوضاع شبيهة جدا بأوضاع الاحتلال إذ كانت السلطة تعمل كل ما بوسعها لتطبيق قوانينها وتعاليمها بكل صرامة وكانت تضيق الحصار على الشعب من خلال وضع شاشات مراقبة في كل مكان للتجسس على الناس واكتشاف كل من تسول له نفسه على مخالفتها، لقد كانت الرقابة مثلا في رواية 1984 تشمل الشوارع والأماكن العمومية وأماكن العمل وكل غرفة من غرف البيوت،[19]ولا تفتأ تسدي الأوامر للناس طول اليوم وتذكرهم بقوانينها الصارمة منها أن "جريمة الفكر لا تفضي إلى الموت، جريمة الفكر هي الموت نفسه"[20] إضافة إلى شعارات الحزب متمثلة في " الحرب هي السلام، الحرية هي العبودية، الجهل هو القوة" التي كانت موجودة في كل مكان: على أغلفة الكتب وعلى الطوابع والرايات والملصقات وعلب السجائر وحتى على النقود،[21] وفي المقابل كان ليتل بروز في رواية 2084 حكاية العربي الأخير، العسكري المكلف بالأمن في قلعة أميروبا حيث يتواجد في غرفة بيضاء في الطابق السابع وهي "أهم وأعلى ما في القلعة، تطل على الكل تراقب حتى التفاصيل الصغيرة والزواحف التي تتقاتل في الرمل في المد الذي لا حد له إلا الأسلاك الشائكة المكهربة،"[22]كما كان ليتل بروز لا يفتأ يراقب آدم حتى أثناء نومه [23]وكان يراقب حتى دقات قلبه وأنفاسه وأحلامه.[24]مع الملاحظة أن آدم في رواية واسيني الأعرج كان يحظى برقابة خاصة نظرا لأهميته الشديدة بالنسبة للسلطة وأهمية القنبلة النووية المكلف بصناعتها عكس ونستون في رواية أورويل الذي كانت عليه رقابة مثل كل العمال والسكان في ذلك البلد.

علاوة على ذلك، كانت السلطة تعمل جاهدة على محو كل ما يُذكّر البطلين بماضيهما أو ببعض الحقائق التي كانت تمنعهما من الانسجام مع واقعهما الذي يبدو لهما غريبا مما جعلهما يرفضانه،[25] وقد كان ونستون في رواية أورويل يسهم هو ذاته في تزييف التاريخ وإتلاف الذاكرة وطمس بعض الحقائق حتى تتلاءم مع الراهن وسياسة النظام وذلك من خلال المنصب الذي يشغله في وزارة الحقيقة.[26]

زيادة على ذلك، لم تكن شخصيات "بيغ بروذر" و"ليتل بروز" معروفتين لدى الناس اللهم إلا عن طريق الصور العملاقة بالنسبة لبيغ بروذر التي كانت تعلق في كل مكان من المدينة وفي أسفل كل صورة كُتب عبارة "الأخ الأكبر يراقبك،"[27] أما ليتل بروز فلم تكن تعرفه سوى فئة قليلة جدا من المسؤولين المقربين منه، ففي" المثلث الخفي والتقاء الحائطين القديمين، يتكوّم ليتل بروز، الجنرال

مالكوم بلير، بحيث يرى الكل ولا أحد يراه، لا أحد يعرف وجهه إلا الصورة التي سربها صحفي فرنسي كلفته غاليا، سجنا وتعويضا ماليا،"[28]ورغم ذلك كان هو الآخر شديد الحرص على معرفة كل ما يدور حوله فأينما "التفتت شعرت به يتبعك بخزرته الحادة نفسها وبالشعار نفسه أيضا: ليتل بروز لا يراقبكم، لكنه فيكم."[29]

من هنا يبدو لنا ذلك التقارب الشديد بين شخصيتي بيغ بروذر وليتل بروز في سلوكهما وحذرهما الشديد مع الملاحظة أن واسيني الأعرج قد عمق درجة المراقبة حين قال أن ليتل بروز "لا يراقبكم ولكنه فيكم" أي أنه تمكن من التغلغل إلى أعماق هؤلاء الذين هم تحت مراقبته ولم يكتف بمراقبتهم مراقبة سطحية فحسب.

زد على ذلك أن ليتل بروز عند واسيني الأعرج هو من سلالة شخصية بيغ بروذر إحدى الشخصيات الأساسية والمهمة في السلطة ويُقال أن هناك شبها فيزيولوجيا وسلوكيا بينهما مما جعل الناس يشكون في إمكانية كونه حفيده أو ابنه الطبيعي.[30]

4.3 . مظاهرالعنف

يرى أندري لالاند بأن العنف هو " كل ما يُفرض على الكائن بحيث يكون متناقضا مع طبيعته."[31] ويشكل العنف " أداة أساسية في المجتمعات المضطهدة فالسلطة تمارسه بدون شرط أو قيد ضد المناوئين والموالين على حد سواء، إما لفرض هيبته أو لصد الأطماع عنها وقد يصل هذا العنف إلى درجة لا يقبلها العقل."[32]

لقد كانت أحداث الروايتين تعج بمشاهد العنف الجسدي والنفسي والفكري، ولعل الملفت للانتباه في رواية أورويل هو ظهور العنف الجسدي الممارس على العديد من الشخصيات بصورة بشعة ومقززة ويتجلى ذلك في من خلال تقاتل الناس- بسبب الفقر- من أجل "الظفر بمكان في قطار الأنفاق ورتق جورب بال وتسول قطعة من السكر[...] أمة من المحاربين والمتعصبين تسير قدما في وحدة تامة،"[33]إضافة إلى مشاهد التعذيب لونستون حين حاول معارضة أفكار الحزب[34] لقد أصبح جسده مجرد هيكل عظمي، لقد فقد شعره وأسنانه وكانت رائحته نتنة [35]وهذا كله حتى يتراجع عن عصيانه للسلطة ويتوب عن كل أفعاله، لقد " زعمت الحضارات القديمة أنها كانت قائمة على الحب أو العدل أما حضارتنا فهي قائمة على الكره ولن يكون في عالمنا مكان إلا لمشاعر الخوف والغضب والانتصار واحتقار الذات[...] لن يبقى وفاء إلا للحزب ولن يبقى حب إلا للأخ الأكبر[...] التجسس والخيانات والاعتقالات والتعذيب والاعدامات والاختفاء لن تتوقف كلها أبدا."[36] وبهذا يكون أورويل قد لخص لنا الواقع المعيش المخيف بل المرعب للحضارات والشعوب المستقبلية.

في المقابل قضى المحتل الغربي على البلدان العربية من بينها أراكا (العراق) حين كلفوا بالبحث عن اليورانيوم المشبع ولكنهم لم يجدوا شيئا سوى " بشر يأكلون الفراغ والهواء الساخن، سحبوا السكاكين في وجه بعضهم بعضا وخطوا حدودا في رؤوسهم، الأكراد، الشيعة والسنة، داعش، القاعدة... "[37] وأصبحت منطقة آرابيا(العربية) "خرابا [...] مكان لم يعد فيه إلا العابرون والغرباء وضباع التنظيم"[38]كما بات سكان أمانيا (اليمن) التي "أكلتها الحروب وشردت ناسها وجاء الجفاف فحوّل بقايا المدن إلى فراغ بلا نهاية."[39]

هذا ولم تكن المنطقة العربية فقط هي المعنية الوحيدة بالتمزق والتشتت بل حتى أوروبا وأمريكا، إذ تعرف أمريكا في عام 2084 صراعا عنيفا بين القوميات الثلاث بين البلاك(السود) واللاتينو والأوروبيون، قال سميث صديق آدم: " هذا العمى صنعه المال وسيتحول إلى دم لن يتوقف [...] لقد وصلت هذه الضغائن إلى أقاصيها وهذا مؤشر على بداية انهيار الإمبراطورية الكبرى، اليوم أو بعد مائة سنة قادمة، لا يهم نحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه لكن صيرورة العالم تسير وفق نظام التمزق الذي مس العالم كله."[40]

وهكذا تكون الروايتان قد تناولتا موضوع المصير البائس الذي ستؤول إليه البشرية في مختلف أصقاع العالم وهو من أهم مواضيع الأدب الديستوبي.

علاوة على ذلك، تعرض آدم هو الآخر على غرار ونستون سميث عند أورويل إلى التعذيب النفسي أكثر من الجسدي إذ بقي سجينا في القلعة للعديد من السنين وتحت حراسة مشددة كما كان محروما من رؤية زوجته التي قُتلت يوم اختطافه وهو غير عالم بذلك وكذا من لقاء ابنته الوحيدة التي اشتاق إليها إضافة إلى الوحدة القاتلة التي كانت تؤرق فكره وتعذب مشاعره، لقد كان الهدف هو تدميره وتصييره إلى مجرد آلة طيّعة في أيديهم.[41]

4.4. طمس الماضي والقضاء على الذاكرة التاريخية

للقضاء فكريا ونفسيا على أي إنسان مهما كانت ثقافته أو هويته يجب فصله وتجريده من ماضيه ومن جذوره وأصالته لأن الاحتلال الفكري أخطر من الاحتلال العسكري، ففي رواية 1984 أُنشئت وزارة كاملة تحمل تسمية وزارة الحقيقة أو حسب اللغة الجديدة (وزاحق) وهي تهتم بكل ما له علاقة بالأنباء والترفيه والتعليم والفنون وهي تتوفر على قسم يجتهد على القضاء على ماضي ذلك الشعب وطمس الحقائق التاريخية والقومية التي لا تتماشى مع الخط الفكري والسياسي للحزب، وقد كان ونستون من أحد العمال الأساسيين في هذا القسم فهو يقوم كل يوم بتلف السجلات التاريخية وتعديل البعض الآخر من الأحداث والوقائع مما جعل ونستون يقول:" إن الماضي لم يخضع للتغيير فحسب بل إنه دُمّر فعلا،"[42] ومن هنا بدأ يتساءل عن ماضي مدينة لندن وهل كانت دائما هادئة

وخالية من السكان وحاول الاستعانة بشيخ مُسن ولكن دون جدوى [43]لأن الحزب لا يفتأ يوهم الناس بأن كل الأمور صارت أحسن بعد الثورة.[44]

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل كانت دائرة السجلات تلك تعمل جاهدة على إعادة إنشاء ماض جديد عن طريق صحف جديدة وكتب علمية ومدرسية جديدة وكذا قواميس للغة الحديثة وحتى البرامج التلفزيونية وبرامج التسلية إضافة إلى روايات ومسرحيات وأشعار يُقدم فيها ما يتلاءم وأفكار الحزب ولم تستثنى الطبقة البروليتارية من ذلك بل كانت لها برامج خاصة ترتكز أساسا على الأخبار المتعلقة بالرياضة وبالجرائم والأفلام الجنسية والإباحية والأغاني العاطفية[45] بهدف تخديرهم وإبعادهم عن الواقع المرير.

في المقابل كان آدم عند واسيني الأعرج لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما "من الحجز والتدمير الدماغي واستهلاك المحلول المنوم جعلته يدرك في وقت مبكر أن ما كان يحدث له لم يكن أبدا صدفة [...] شعر يومها كم ان الإنسان يمكن أن يتحول إلى لا شيء في ثانية واحدة،"[46] لقد كان هدفهم هو القضاء على ذاكرته وتدمير نفسيته، إضافة إلى ذلك كان آدم فعلا يعيش حالة من الاحباط الشديد لأنه وجد نفسه ضحية كل الجهات التي كان يشعر بالانتماء إليها وجد نفسه "على حافة عالم آربيا الذي مات كليا[...] وعالم غربي في عز انهياراته بسبب أزماته[...] وإسلام فقد كل مبرراته الإنسانية بعد أن استلمه التنظيم،"[47] وبهذا يكون المحتل الغربي قد قضى على الثقافة العربية والإسلامية وحتى على الحضارة الغربية التي عرفت هي الأخرى التشتت والضياع.

5.4- المدن المدمرة (المحطمة)

لعل أول ما يثير انتباه المتلقي في رواية 1984 هو صورة مدينة لندن الكئيبة والحزينة ليس بجوها فحسب بل ببناياتها ومنازلها التي كانت متآكلة "تحيط العوارض الخشبية بجوانبها وتعلو قطع الورق المقوى نوافذها وتغطي سقوفها صفائح الحديد المطّعجة وأسوار حدائقها متداعية سائبة في كل اتجاه[...] هل كانت فيها دائما تلك الأماكن حيث أزالت القنابل كل ما كان موجودا على مساحات واسعة فنشأت فيها تجمعات بائسة من مآو خشبية تشبه أقفاص الدجاج،"[48] لقد كانت العمارات قديمة جدا ونادرا ما كانت المصاعد فيها تعمل وكانت الانقطاعات الكهربائية كثيرة في اليوم نفسه وكانت الشقق ضيقة وحالها بائس وأثاثها عتيق ومعظمه غير صالح للاستعمال إضافة إلى الروائح الكريهة المنبعثة منها.[49]

لم تكن المنطقة العربية بأحسن حال بل كانت عبارة عن صحراء قاحلة مليئة بالمخاطر سواء بحيواناتها المفترسة التي باتت تتجول في ربوعها بكل حرية أو أعضاء التنظيم الإرهابي الذين يبحثون عمن

يأسروه أو يقتلوه وقد أصبحت وجوه الآرابيين الذين يعدون بالآلاف محروقة من شدة لفح الصحراء وهم يتوغلون عميقا في محرقة الرمال.[50]

لقد كانت صورة المدينة الفاسدة بارزة في كلتا الروايتين سواء في مظهرها الخارجي وبناياتها الكئيبة أو بطبيعتها التي تعكس العقم والجفاف والجدب أو بسكانها البؤساء في معيشتهم وأوضاعهم الاجتماعية أو بفساد ساساتها والأنظمة السائدة فيها، كل شيء فيها يوحي بالموت والدمار الروحي والفعلي.

5.خاتمة

بعد الدراسة والتحليل انتهت هذه الورقة البحثية إلى النتائج التالية:

-يبدو لنا جليا تأثر واسيني الأعرج برواية 1984 لجورج أورويل، إذ سار في نفس اتجاهه في تنبئه بمستقبل الأمة العربية بحيث أعطى صورة عما يمكن أن تكون عليه في عام 2084 مثل أورويل تماما.

-اتبع واسيني الأعرج خطى جورج أورويل الذي أوحى له بأحداث روايته 2084 حكاية العربي الأخير.

-نلاحظ تقاربا كبيرا بين البطلين اللذين كانا تحت سلطة نظام متجبر أو محتل ظالم عمل على تجريدهما من فكرهما وذاكرتهما حتى يكونا أدوات طيّعة في يده.

-جور السلطة وحصارها للشعب بمختلف شرائحه عن طريق منع حرية التفكير والتعبير واتخاذ القرارات التي هي من صلاحيات السلطة وليس غيرها.

-تجسيد النظام الجائر من خلال شخصيتي بيغ بروذر وليتل بروز اللذين يشبهان بعضهما فيزيولوجيا وفكريا وحتى سياسيا مما أدى إلى اعتبار إمكانية كونهما من نفس السلالة.

-محاكاة واسيني الأعرج لصورة المدينة الفاسدة الواردة في رواية 1984 سواء في بشاعة منظرها أو في فقر سكانها وبؤسهم أو في العنف الممارس فيها سواء عن طريق الحرب ووسائل التدمير أو عن طريق التعذيب الذي أفقد الإنسان إنسانيته فيها.

-سوء استعمال التكنولوجيا التي جعلتها السلطة سلاحا تحارب به الإنسان بدل استخدامها لصالحه.

-تأثر واسيني الأعرج برواية جورج أوريل كان إيجابيا حيث تمكن من ترك البصمة العربية على أحداث وشخصيات روايته وحتى نهايتها كانت أكثر تفاؤلا من نهاية رواية أورويل.

الهوامش

[1] - برجكاني فاطمة، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة قراءة في رواية أورويل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان، مجلة إضاءات، العدد 29، السنة الثامنة 2018، ص 132.

[2] - ينظر ماركيوز هاربرت، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، ط3، بيروت لبنان،1988، ص 28.

[3] - الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجلة فكر الثقافية، في موقع https://www.fikrmag.com شوهد في 10 /04 /2024 على الساعة 18.

[4] - محمد عبد الحميد أحمد زينب، اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة دراسة في تشكلات المصطلح، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد 83، العدد 02، يناير 2023، ص 99.

[5] - ابن الشيخ أحلام، مشهديات الديستوبيا في رواية جملكية آرابيا لواسيني الأعرج، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، العدد 06، سنة 2018، ص 65.

[6] - برجكاني فاطمة، الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان، مجلة إصاءات نقدية(فصلية محكمة)، السنة الثامنة، العدد 29 ، آذار 2018 ، ص 137 .

[7] - شابو توفيق، أدب الديستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد توفيق و"عطارد" لمحمد ربيع، مجلة جسور المعرفة، المجلد09، العدد 03، جوان 2023، ص 73.

[8] - برجكاني فاطمة، الديستوبيا (المدينة الفاسدة)، ص.

[9] - شابو توفيق، أدب الديستوبيا، ص74.

[10] - ينظر سارجنت إيمان تاور، اليوتوبية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة ضياء وارد، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2016، ص 33.

[11] - الشحات محمد، تمثيلات الديستوبيا في الرواية المصرية الجديدة سردية مضادة لمدن الخراب، مجلة الدوحة، العدد 148، فبراير 2020، ص 29.

[12] - فرغلي محمود، ديستوبيا الواقع العربي، مجلة الدوحة، العدد 148، فبراير 2020، ص 38.

[13] - خريف البشير، مجلة الدوحة، الديستوبيا أدب المدينة الفاسدة، العدد 148، فبراير 2020، ص 21.

[14] - الشحات محمد، تمثيلات الديستوبيا في الرواية المصرية الجديدة سردية مضادة لمدن الخراب، مجلة الدوحة، العدد148، فبراير 2020، ص32.

[15] - الشحات محمد، المرجع السابق، ص 32.

[16] - بكري محمد، واسيني الأعرج يدخل المنطقة المحرمة لتعرية الحقائق عن العربي الأخير، جريدة العرب (الصفحة الثقافية)، القاهرة، العدد، بتاريخ 10 مارس 2016، ص 14.

[17] - دلوز جيل، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يقوت، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت لبنان، الدار البيضاء المغرب، 1987، ص 78.

[18] - واليا شيلي، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ترجمة أحمد خريس وناصر أبو الهيجاء، أزمنة للنشر والتوزيع، ط01، عمان الأردن، 2007، ص 36.

[19] - أورويل جورج، 1984، ترجمة الحارث محمد النبهان، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2014، ص 7 و9 .

[20] - أورويل جورج، المصدر نفسه، ص 32.

[21] - نفسه، ص.

[22] - الأعرج واسيني، 2084 حكاية العربي الأخير، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 01، بيروت لبنان، 2016، ص 13.

[23] - الأعرج واسيني، المصدر نفسه، ص14.

[24] - نفسه، ص 16، 17.

[25] - ينظر أورويل، ص 39، 40 والأعرج واسيني، ص15.

[26] - أورويل جورج، 1984، ص 39، 40 وص 44، 45.

[27] - أورويل جورج، ص 5، 6.

[28] - الأعرج واسيني، ص 14.

[29] - الأعرج واسيني، ص 107.

[30] - الأعرج واسيني، ص 16.

[31] - الهلالي محمد ولزرق عزيز (في الإعداد والترجمة)، العنف، دار توبقال للنشر، سلسلة دفاتر فلسفية، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 09.

[32] - عموري نعيم وسواعدي مورزاده زينب، سوسيولوجية رواية 1984 جورج أورويل وفق نظرية جورج لوكاتش، مجلة الأثر، المجلد19، العدد 01، جوان 2022، ص 50.

[33] أورويل جورج، ص 79.

[34] -أورويل جورج، ص 261.

[35] - نفسه، ص 284.

[36] نفسه، ص 279.

[37] - الأعرج واسيني، ص 385.

[38] - نفسه، ص 311.

[39] - الأعرج واسيني، ص 313.

[40] - نفسه، ص 385، 386.

[41] - نفسه، ص95.

[42] - أوريل جورج، ص 39.

[43] - نفسه، ص 97.

[44] - نفسه، ص 76.

[45] - نفسه، ص 47، 48.

[46] - الأعرج واسيني، ص 95، 96.

[47] - نفسه، ص 98.

[48] - أورويل جورج، ص 7 ، 8 .

[49] - نفسه، ص 6 وص 25.

[50] - الأعرج واسيني، ص 322.

المصادر والمراجع:

1. أورويل جورج، 1984، ترجمة الحارث محمد النبهان، دار التنوير للطباعة والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2014
2. .برجكاني فاطمة، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية المعاصرة قراءة في رواية أورويل في الضاحية الجنوبية لفوزي ذبيان، مجلة إضاءات، العدد 29، السنة الثامنة 2018.
3. دلوز جيل، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يقوت، المركز الثقافي العربي، ط01، بيروت لبنان، الدار البيضاء المغرب، 1987، ص 78. سارجنت إيمان تاور، اليوتوبية مقدمة قصيرة جدا، ترجمة ضياء وارد، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2016
4. ماركيوز هاربرت، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، ط3، بيروت لبنان،1988.
5. الهلالي محمد ولزرق عزيز (في الإعداد والترجمة)، العنف، دار توبقال للنشر، سلسلة دفاتر فلسفية، ط01، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 09.
6. واليا شيلي، إدوارد سعيد وكتابة التاريخ، ترجمة أحمد خريس وناصر أبو الهيجاء، أزمنة للنشر والتوزيع، ط01، عمان الأردن، 2007
7. مواقع الكترونية:
8. الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجلة فكر الثقافية، في موقع https://www.fikrmag.com
9. شوهد في 10 /04/ 2024 على الساعة 18 .

المجلات:

1. ابن الشيخ أحلام، مشهديات الديستوبيا في رواية جملكية آرابيا لواسيني الأعرج، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، العدد 06، سنة 2018
2. برجكاني فاطمة، الديستوبيا (المدينة الفاسدة) في الرواية العربية المعاصرة قراءة في رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" لفوزي ذبيان، مجلة إصاءات نقدية(فصلية محكمة)، السنة الثامنة، العدد 29 ، آذار 2018
3. بكري محمد، واسيني الأعرج يدخل المنطقة المحرمة لتعرية الحقائق عن العربي الأخير، جريدة العرب (الصفحة الثقافية)، القاهرة، العدد، بتاريخ 10 مارس 2016
4. خريف البشير، مجلة الدوحة، الديستوبيا أدب المدينة الفاسدة، العدد 148، فبراير 2020
5. عموري نعيم وسواعدي مورزاده زينب، سوسيولوجية رواية 1984 جورج أورويل وفق نظرية جورج لوكاتش، مجلة الأثر، المجلد19، العدد 01، جوان 2022، ص 50.
6. شابو توفيق، أدب الديستوبيا: سرد المستقبل وبلاغة التخييل الاستشرافي في رواية "يوتوبيا" لأحمد توفيق و"عطارد" لمحمد ربيع، مجلة جسور المعرفة، المجلد09، العدد 03، جوان 2023
7. محمد عبد الحميد أحمد زينب، اليوتوبيا والديستوبيا في رواية ما بعد الثورة دراسة في تشكلات المصطلح، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد 83، العدد 02، يناير 2023